



بسم الله الرحمن الرحيم

التحذير من الغفلة

عباد الله : عنوان سعادة المرء ، ودلائل توفيقه ، إنما يكون في إنابته لربه ، واستقامته على شرعه ، وإقباله على الله تعالى بنية خالصة ، وعبودية صادقة ، وأن لا تشغله الدنيا ، والسعي في تحصيل ما يؤمل منها ، عن الاستعداد للحياة الباقية ، والتزود للدار الآخرة ، فذلك سبيل الصالحين، ونهج المتقين ﴿رَجَالَ لَا تَلْهِيهِمْ تِجْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخْفُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ وهكذا شأن المؤمن حقاً، يغتني أيام العمر، بالأعمال الصالحة، وبيتغي فيما آتاه الله الدار الآخرة، لعلمه أن هذه الدنيا، ما هي إلا وسيلة للفوز بالحياة الباقية، والظفر بالسعادة الدائمة، لا أنها غاية تبتغي، ولا نهاية ترتجى، وأنه مهما طال فيها العمر، وفسح فيها للمرء الأجل، فسرعان ما تبلى، وعمما قريب تفنى، وليس لها عند الله اعتبار، وإنما هي قنطرة إلى الجنة أو النار ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَعٌ الْغُرُورِ﴾

وفي (م) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء»

إن في ذلك لأبلغ بيان، وأوضح تصوير لحقيقة الدنيا، وما يجب أن يكون عليه حال المرء فيها، من الإقبال على الله جل وعلا، والأخذ بالنفس في دروب الصلاح والتقوى، ومجانبة الشهوات والهوى، والحذر من الاغترار بالدنيا، غير أن الكثيرين منا في غفلة عن ذلك، حتى غلب عليهم طول الأمل، ووران على قلوبهم سوء العمل .



أيها المسلمون، يقول الله تعالى مويخاً فئةً من البشر غافلةً ساهيةً ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

أفلا يرون الكواكبَ الزاهرات؟ والأفلاكَ الدائرات، والجميعُ بأمره مسخرات، وكم في الأرض  
من قطع متجاورات، وحدائقَ وجنات، وجبالٍ راسيات، وبحارٍ زاخرات، وأمواجٍ متلاطحات،  
وقفارٍ شاسعات، ثم هم يجعلون لله البنات، ويعبدون من دونه العزى واللات، فسبحان الواحد  
الأحد، خالقِ جميع المخلوقات. وثمَّ أمرٌ لذي اللبِّ المتأمل، يجعل العجب يأخذ منه كلَّ مأخذ،  
حينما يرى هذا الإنسان، وهو ينكص على عقبيه، ويوليُّ الدبر، منصرفاً عن عبودية خالقه ومولاه،  
منشغلاً بالأولى عن الأخرى، والفاني عن الباقي، يتقلَّب بين الملمات والشهوات. وقد كان الأجدر  
به، وقد أكرمه الله ونعمه، أن يكون عابداً لا غافلاً، طائعاً لا عاصياً، مقبلاً على ربه لا مدبراً، شاكراً  
لا كافراً، محسناً لا ظالماً.

يا عجباً من مضغة لحم أقى من الصخر، تسمعُ آيات الله تتلى عليها، ثم تصرُّ مستكبرة كأن لم  
تسمعها، كأن قرأ في أذنيها، فهي لا تلين ولا تخشع، ولا تهبط ولا تصدع، ولو وعظها لقمان، أو  
تليت عليها آيات القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ  
عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ \* أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

إن من مظاهر غلبة الغفلة على القلوب، واستيلائها على النفوس لدى البعض، أن لا يكون لهم هم  
سوى جمع الأموال، وتضخيم الثروات؛ حتى سلكوا في تحصيل ذلك مسالك مشبوهة، وسبلاً  
محرمة. وآخرون ليس لهم هم إلا البحثُ عن الجاهِ العريض، والشهرةِ الواسعة، وإن كان على  
حساب الدين والفضيلة.

قال ابن القيم



فأكثر الخلق لا ينظرون في المراد من إيجادهم ، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في دار الغرور ، ولا إلى أين يرحلون؟ وأين يستقرون؟ قلّ نصيبهم من العقل ، وشملتهم الغفلة ، وغرتهم الأمانى ، وخدعهم طول الأمل ، وكأن المقيم لا يرحل ، وكأن أحدهم لا يبعث ولا يسأل ، وكأن مع كل مقيم توقيع من الله لفلان بن فلان ، بالأمان من عذابه ، والفوز بجزيل ثوابه ، فأما اللذات الحسية ، والشهوات النفسية ، كيفما حصلت فإنهم حصلوها ، ومن أي وجه لاحت أخذوها ، غافلين عن المطالبة ، آمنين من العاقبة ، يسعون لما يدركون ، ويتركون ما هم به مطالبون ، ويعمرون ما هم عنه منتقلون ، ويحربون ما هم إليه صائرون ، وهم عن الآخرة هم غافلون ، ألهتهم شهوات نفوسهم ، فلا ينظرون في مصالحها ، ولا يأخذون في جمع زادها في سفرها ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾



الخطبة الثانية

أيها المسلمون، إن الشهور والأعوام، والليالي والأيام، مواقيتُ الأعمال، ومقاديرُ الآجال، تنقضي جميعاً، وتمضي سريعاً، والليل والنهار يتعاقبان لا يفتران، ومطيتان تُقربان كل بعيد، وتجان بكل موعود جديد، والسعيد لا يركن إلى الخدع، ولا يغترُّ بالطمع، فكم من مستقبلٍ يوماً لا يستكمله، وكم من مؤملٍ لغدٍ لا يدركه .

فيا من تمرَّ عليه سنةٌ بعد سنة، وهو في نوم الغفلة والسنة، يا من يأتي عليه عامٌ بعد عام، وقد غرق في بحر الخطايا وهام، قل لي بربك لأي يوم أخرت توبتك؟ ولأي عام ادخرت أوبتك؟ إلى عام قابل، فما إليك مدةُ الأعمار، ولا معرفةُ المقدار، فبادر التوبة واحذر التسويف، وأصلح من قلبك ما فسد، وفرَّ من المجذوم فرارك من الأسد، وكن من أجلك على رصد، فقد أذف الرحيل وقرب التحويل، والعمر أمانة، سيسأل عنه المرء يوم القيامة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما ندمتُ على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي .

يا من قد بقي من عمره القليل، ولا يدري متى يقع الرحيل، يا من تُعد عليه أنفاسه استدركها، يا من ستفوت أيامه أدركها، نفسك أعزُّ ما عليك فلا تهلكها ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ويا من أقعده الحرمان، يا من أركسه العصيان، كم ضيعت من أعوام، وقضيتها في اللهو والمنام، كم أغلقت باباً على قبيح، كم أعرضت عن قول النصيح، كم صلاة تركتها، ونظرة أصبتها، وحقوق أضعتها، ومناه أتيها، وشورٍ نشرتها، أنسيت ساعة الاحتضار «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات»



عباد الله : أين من عاشرناه كثيراً وألفنا ، أين من عرفناه طويلاً وأحبنا، كم عزيز دفنناه وانصرفنا، كم قريب أضجعناه في اللحد وما وقفنا، فهل رحم الموت منا مريضاً لضعف حاله ؟ هل ترك كاسباً لأجل أطفاله ؟ هل أمهل ذا عيال من أجل عياله؟

أفلا نتعظ - يا عباد الله - بما حل بالماضين ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ألا تعتبر بمن نشيع كل يوم إلى الدار الآخرة ، يذهب فيها أفراد وجماعات، وآباء وأمهات، وأبناء وبنات، وملوك ومماليك، وأغنياء وصعاليك، ومؤمنون وكفار، وأبرار وفجار، يودعون القبور، وينتظرون يوم النفخ في الصور ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾

فتوبوا إلى ربكم قبل أن يشتمل الهدم على البناء، والكدر على الصفاء، وينقطع من الحياة حبل الرجاء، وقبل أن تخلو المنازل من أربابها، وتؤذن الديار بخرابها، وليحاسب كل واحد منكم نفسه، فقد سعد من لاحظها وحاسبها، وفاز من تابعها وعاتبها.

عبد الله : استدرك من العمر ذاهباً، ودع اللهو جانباً، وقم في الدجى مخبتاً، وقف على الباب تائباً .